من خلال قصيدة «ضباب وبروق»

نظرات في شعر حاوي

بقلم محمد جابر الأنصاري

جاءت قصيدة الدكتور خليل حاوي « ضباب وبروق » المنشورة في العدد الاخير من « الآداب » (ص ١٢ ـ ١٣) ، لتضيف شاهدا آخر ، الى الشواهد العديدة في تجربته الشعرية ، على ان التطور الشعري لديه نمو داخلي متماسك ومتكامل يتفاعل مع الواقع الحضاري ويتصدى لتغييره ويرهص بتحولاته ويتجاوزه في صيرورة عنيدة واعية لذاتها ، وهي ظاهرة في شعر حاوي جديرة بالكثير من التامل والدرس، لا من حيث هي خاصية من خصائص تجربته الشعرية ، ولكن باعتبارها ظاهرة تكاد تكون فريدة في هذه المرحلة الحرجة من الحياة العربية حيث يتعرض الشعر ، كما يتعرض غيره من مناحي الحياة ،للتشويش وضياع الرؤية ، وتكثر اعراض التمارض الرومانسي والتباكي الانفعالي الذاتي ، والابهام المحتجب خلف اردية السريالية ، والتمرد الاعتباطي المختبىء وراء شعارات الثورة ، والتعالي الهارب في دروب الصوفية، واخيرا لا آخرا ، الارتداد العائد الى رحم الماضي وعصوره « الذهبية » ..

هذه « الاعراض » جميعها ، التي افرزتها الحالة النفسية العربية بعد حزيران ليست مجرد تعبير عن الازمة القومية الراهنة فحسب ، بل انها ـ الى جانب ذلك ـ انعكاسات خطيرة ـ بدات في الظهور قبل حزيران ـ لازمة داخلية في كيان الشعر العربي الحديث الذي اخذ يجتر ذاته فيما يشبه الحلقة المفرغة ، بعد ان حقق انطلاقته الكبرى في الخمسينات واوائل الستينات وبدا وكانه قد وصل اليوم الى درجة استهلاكحيويته الاساسية التي كانتالدافع وراء ما حققه من تجديد وثورة اصيلة حينذاك .

غير ان وجود بعض الظواهر الصحية ـ وان كانت نادرة ـ كفيل بتحديد الخط البياني الصحيح الذي لا بد وان يطمح شعرنا الحديث الى اللحاق به ان اراد ان يحقق لذاته صمودا رواقيا في وجه رياح الواقع العربي المتهاوي ، وان اراد ان يمثل موقفا حضاريا تاريخيا من تلك المواقف التي يلزم بها الفن الاصيل ذاته في فترات الازمات والكوارث الجماعية الخانقة . وهذه ليست دعوة لاصطناع التفاؤل ولاطلاق اناشيد الزحف واغاني الانتصار ـ الذي طال انتظاره ـ فدعوة مثل هذه في الوقت الراهن لن تؤدي الا الى اجهاض البقية الباقية من الاصالة في شعرنا الحديث . ان المطلوب هو ان يحقق هذا الشعر لذاته ، من حيث هو حركة وتيار ، شيئا مشابها للوقفة المنيدة المؤلمة الكاشفة التي وقفها خليل حاوي في قصيدته الاخيرة ، هذه الوقفة التي لن نجد لها وصفا ادق من هذه العبارة الواردة في القصيدة المذكورة :

.. والتماعات ترى ما لا يرى
من رحم الارض لابراج النجوم

... وقفة ذاتية ـ موضوعية تنفذ بشمولية وعمق الى ابعاد الواقع الحضاري برمته لتستكشف موقع خطاها في اللحظة المتازمة الراهنة فتمسك بالحلقة المناسبة من حلقات التطور لتنطلق منها الى درب الصمود المنتظر ...

* * *

الصورة الشعرية التي تتكرر في القصيدة لتمثل فيها « اللازمة » التي تسبغ عليها لحنها المميز وايقاعها النفسي الشامل هي صورة « الشبح الغامض » الضائع الذي تاه وراء السراب وتلاشى بين اشباح تشبهه :

شبح يبحر في البحران
يغويه السراب
تلتقيه في ضباب التبغ
اشباح يغشيها الضباب

غير انغموض هذا الشبح ما يلبث ان يتكشف من خلال القصيدة عن « شخصية » حضارية ذات طبيعة درامية مأساوية صارخة تتمزق في صراع الاضداد وتناقض الثنائية بين قطبي الارادة الخيّرة والواقع المدنس ، بين الرؤيا الاصيلة والصيرورة المتزيفة ، بين توق الولادة الجديدة وعبثية انتفاضة الاحتضار ، بين الانبعاث الحقيقي والبعث الكاذب ، بين التفاؤل العنيد والياس القاتل ..

هذا الصراع الدرامي يتوالى مع دقات قلب الشاعر « الذي اعتاد الهزيمة » بعد ان افرخ فيه البوم ومات النسر ، مما يوحي بان الشعور بالانسحاق ليس شعورا انفعاليا عابرا بل هو تازم ينفذ الى اعماق الشخصية ويتهددها في اخص خصائصها واعمها . فالرغبة تتلاشى والارادة تموت والذات تتكفىء على الذات ، لان ارض الانبعاث التي مجدها الشاعر في « نهر الرماد » لم تعد غير مسرح للباطل ولم تثمر سوى « صمت التراب » ، بينما حل محل اخضرارها التموزي « ظل غراب » ..

طالما جعت افترشت الجمر
اتلفت الليالي
اتقي ما اشتهيه واهاب

واطيل الجوع حتى ينطوي الجـوع
على موت الرغـاب
باطل ما يخدع العزم
ويدمي العـزم
يغريه فيجتاح الاعالـي
وعلى مـا غارفي صمت التراب
من بطـولات الضحايـا
يرتمي ظـل غـراب

هذه « الرغاب » التي كانت اجمل ما في العمر ، وان اوصلها الجوع الناجم عـن اصابة الارادة الخيّرة بالمحال ، الـى مرحلـة الاحتضار سرعان مـا تجمع وتتحفز للانطلاق في لحظات تلاشي الواقع وانحلالـه عندمـا يتجاوزه الوعي المأساوي الخانق بالنسيان فـي حالات عابرة من حالات الفرح الذي لم يعـد نابعـا من اعماق الذات بل مجلوبـا مـن الخارج :

طالما الهبت الخمرة
ما يرتد عنه الظـن في عتمة كهفي
الهبت ما تملـك العتمة
من نفسي وتخفـي
اطلقته شررا ، موجا ، غيوم
وطباعا لا تدوم
وقطيعا من رغاب العمر
يتلوه قطيـع
كيف كانت ترتوي القطعـان
تشتد وتنمو
كلما اشتد بهـا برد وجـوع
خلتها ماتت على القصات
في ليـل الصقيـع
خلف صمتي ووجومي الحجري
ليس يجديهـا عويـل
أو جمـوح بربري

هذه الصورة الدينامية في تشبيه التواء الرغبات المكبوتةبالجموح البربري للقطعان الجائعة الشاردة في الصقيع توحي ان تلك الرغاب لـم تمت بل انتقلت من دائرة الوعي الى أغوار اللاوعي تنتظر يـوم التحقق والانطـلاق ..

غير ان الشاعر يلح عليه وعيه المؤلم الراهن من جديد فتتلاشى غيبوبته الفتيـة البهيجـة المتدفقـة من « طبع الدوالي » لنلتقي مرة اخـرى بالشبـح الهالـك :

ومضة تمضي بطبـع
من طباعي مستعـار
بنجلي عـن هالـك
يقطر من اجفانه جمر وعـار

وماساة هذا الهالك الدرامية تكمن في الهوة الشاسعة بين عظمة الرؤيا وشدة الاخفاق .. بل ان هذه الرؤيا لم تجـد لهـا الارض الصالحة فتحولت الى جمرة في جوف الشاعر ـ الامة :

انت يا مـن غوّرت
في جوفه الرؤيا وغصت
فاستحالت جمرة ملتهمـة
أكلت اعصابه ، مصت دمه
تلك رؤيـا اختنقت في الكلمه
حين ثارت ، وتحدت
لعنة ما برحت تشتد
من جيل لجيـل
تتمشى في خلايا جيلك
المعجون من وحل الوحول
لعنة الارض البغي الهرمـة .

هذه الرؤيـا الموءودة هنا لـم تكـن سوى تلك الرؤيا ـ الصبيـة التي تمخضت بهـا « الرحلـة الثامنة للسندباد » فواجهتها الجاهلية القديمة المتجددة ووأدتها ـ طبقـا لتقاليدها السرمدية المشئومة الحاقدة ـ في ارضهـا البغي الهرمة .. تماما كمـا كانت تئد الصبايـا ايـام ابـي جهـل !

وكيف يمكن للجاهلية الهرمة ان تتقبل ولادة صبيـة في هـذا الحسن وهذه البراءة : (الناي والريح ، ٩٣) : ـ

مرآة داري اغتسلي
من همك المعقود والغبار
واحتفلي بالحلوة البريئه
كانها في الصبح
شقت في ضلوعي
نبتت من زنبق البحار
ما عكر الشلال في ضحكتها
والخمر في حلمتها
رعب من الخطيئة
. . . .
احتفلي بالحلوة البريئة
بالصحو في العينين
ما صحو الشعاع الغض
عبر النبع والثلوج ،
بالصدر والخصر ،
ترى ما تربة المسك
طريا دافئا
ما بيدر الحنطة والمروج
ما سمرة الصيف على الثمار
ما نكهة البهار
ما كل ما رويت ....
خليت للغير كنوز الارض
يكفيني شبعت اليوم وارتويت .

هذا الشبع والارتواء حل محله اليوم ـ كما رأينا في « ضباب وبروق» ـ جوع يميت حتى مجرد الرغبة ، ولكنه كان شبعا نفسيـا عميقا حينذاك جعل الشاعر يعلن بثقة لا حد لها (الناي والريح ، ١١٠) .

عدت اليكم شاعرا في فمه بشاره
يقول ما يقول
بفطرة تحس ما في رحم الفصل
تراه قبل ان يولد في الفصول

ولان هذه « الفطرة » صادقة حقا ، وكاشفة حقا ، فقـد استطاعت بالفعل ان ترهص بما سيولد من رحم الفصول الخريفية والصقيعية القاسية التي ارسلها لهذه الارض الزمن الرديء ، وذلك عندما تفجرت بعد سنوات قليلة ـ وفي زحمة رياح الانبعـاث المجهض ـ بقصيدة « لعازر » ، فكانـت بذلـك اول صوت عربـي على الاطلاق يتنبأ ـ بصورة اكيدة وواضحة وشاملة ـ بابعاد النكبة الحزيرانية الرهيبة التي كانت سمومها تسري في كيان الامـة منذ ذلك الوقت دون ان يتنبه الى الخطر الضمير القومي المخـدّر بجرعات الانبعاث الموهوم (ببادر الجوع ، ٥٧) :

« مبحر ، سكران ، ملتف بزهو الارجوان »

ومنذ تلك اللحظة ايقن الشاعر ان صبية « الناي والريح » قد

وقفت ضحية بين انياب لعازر في بعثة الزائف الذي حولها هي الاخرى الى « أفعى عتيقة » لا تعرف غير الحقد (بيادر الجوع ٨١)

حلوة سمرا رشيقه ؟
خدعة المرآة ، رباه ، وتمويه العيون
ان لي جسما
تمتحيه وتبنيه الظنون
انطوي في حفرتي
افعى عتيقه
تنسج القمصان
من ابخرة الكبريت ، من وهج النيوب
لحبيب عاد من حفرته
ميتا كئيب
لحبيب ينزف الكبريت
مسوّد اللهيب

وهكذا تحول الشاعر الذي عاد الينا من « الرحلة الثامنة » وفي « فمه بشاره » الى « نذير » في (لعازر) ينبه الى حتمية وقوع الطوفان والكارثة (ولا عجب ان يتحول البشر الى نذير فالقرآن الكريم بالذات يعلمنا ان المبشر ـ النذير شخصية واحدة همها الاكبر تبليغ « الحق » الى الناس كافة ايا كان) .

وبذلك يغدو العمل الشعري لدى حاوي نظرة نافذة الى اعمق خصائص الصيرورة الحضارية : نظرة تستوعب هذه الصيرورة وتعبر عنها وتتنبأ بصعودها وانكسارها وهي ـ في الوقت ذاته ـ منفصلة عنها تنظر اليها من : (الناي والريح ١٠٥)

المحور الهادىء والبرج الذي
يصمد في دوامة تبتلع البروج

وهذا البرج ليس « البرج العاجي المنعزل » بل هو «صاري» السفينة الشاهق الذي يحفظ توازنها وسط هياج البحر والرياح والانواء .... انه النظرة الواعية الشاملة « الملتزمة » في وجه دوامة الصيرورة المنفلتة الضائعة ...

وبفضل هذا العامل بالذات سلمت التجربة الشعرية لدى حاوي من الانفعال السطحي بالاحداث الجزئية العابرة والتزيي بالازياء الشكلية المتغيرة ...

وقد استطاع شعر حاوي ان يحقق هذا المستوى لان « الرؤيا » الشعرية التي قام عليها ـ ولا يقوم شعر عظيم الا برؤيا عظيمة ـ كانت صلبة وعميقة ونافذة .

ان هذه الرؤيا لم تكن حلما فرديا منعزلا عن الواقع القومي والانساني الحضاري ، ولم تكن تشويشا سرياليا للوعي والحواس، ولم تكن قفزة تفاؤلية مع الآمال القومية الرومانسية الحالمة ، بل كانت صهرا واعيا شاملا لجوهر الذات الحضاري لهذه الامة ولاصدق خصائص واقعها الراهن ولابرز معالم اشواقها المستقبلية...

ولان الواقع الراهن واقع انسحاق وهزيمة منكرة ، ولان الاشواق المستقبلية قد اصيبت بجرح بليغ من وخزات هذا الواقع المؤلم ،فان الشاعر لا يجد امامه اليوم غير شاهد التراث العظيم يوجد رؤيا بقممه الحضارية الشاهقة لا هروبا اليها ولا املا في اعادة تكرارها ونسخها مستقبلا ، ولكن توقا الى ارض صالحةجديدة جديرة بالانبعاث الاصيل تتقبل الرؤيا المعاصرة وتحبل ببذورها الخصيبة كما تقبلت الارض الصالحة البتول الرؤيا التاريخية العظيمة في الماضي المجيد :

يوم كان الصبح ينهل" على ارض بتول
فجّرت فيها سهولا وسيول
من خيول الفتح
رؤيا التمعت في كلمه

تلك هي الكلمة القرآنية الخلاقة التي عبرت عن الرؤيا المحمدية المعجزة فحبلت بها الارض الطيبة التي كانت بتولا طاهرة حقا عندئذ فتفجرت سيولا رفدت نهر الابداع والحضارة ، وما الارض البتول سوى النفس العربية في صفائها الاصيل .

ويواصل الشاعر غوصه ـ ذاتيا وموضوعيا ـ عبر طبقات التراث ليلتقي بالاله الذي تجسد انسانا والانسان الذي تسامى الها في تجربة المسيح بعد ان التقى بالكلمة ـ الاله التي تجسدت ارادة حية فاعلة في ارضها العربية ومن ثم في التاريخ الانساني :

طالما اجتاحت ضباب التبغ
ريح والحت وجلت
ما اضمرت عيناك
من غيب الصحاري
حيث صارعت
فروخ الجن ، قطعان الضواري
وبلوت الحيرة الحرى
التي ينحل فيها الكون
وهما وصدى
غير حس بيقين الرعب
في تيه المدى
كنت فيه الخالق المخلوق
يرغى ، يتلوّى ، ويهيم
كل ما في الخالق المخلوق
من عار قديم
صهرته حسرة الليل
وحمّى الشمس والريح السموم
فتجلت فيه نار صلبة
تصطى على نار الجحيم
والتماعات ترى ما لا يرى
من رحم الارض
لابراج النجوم

واذا كانت رؤى التراث قد اقتحمت باب الفعل التاريخي وتحولت وجودا حضاريا ، فان الرؤيا المعاصرة قد ابتليت بمأساة الارض البغي الهرمة التي لم تكن من طبيعة هذه الرؤيا وخصوبتها وطهرها وتساميها ، وهكذا قدر لها ان تختنق في الكلمة :

تلك رؤيا اختنقت في الكلمه !

وكأني بالشاعر يضمر ان الرؤيا المعاصرة قد تكونت وتبلورت واكتملت اكتمال رؤى التراث ، وان الفارق ليس في مستوى الرؤيا وانما في مستوى التلقي الحضاري بين ماض خصيب ازهر وحاضر عقيم لم يثمر ...

ان رؤيا الشعر هي رؤيا شعرية ذاتية في الاصل ، ومن حيث هي رؤيا حضارية تبدو اقرب ما تكون الى رؤى النبوة والتصوف الايجابي والبطولة التاريخية ان لم تكن هي اياها . الا انها وان اتسمت بالطابع الذاتي فلا بد ان « تتموضع » ـ أي تتجسد موضوعيا ـ حتى يمكن الحكم عليها وعلى آثارها ...

وهي تتموضع اولا في لغة شعرية جديدة ملتحمة بها ...
وتتموضع ثانيا في فكر نافذ بمستواها ، قادر على توجيهه الصيرورة التاريخية .

وتتموضع ثالثا واخيرا في فعل خلاق يفتح عصرا جديدا في تاريخ الحضارة وهذا ما نبه اليه الفيلسوف الوجودي هيدجر عندما تصدى لتحليل جوهر الشعر ودور الشاعر في الحياة الانسانية ...
وهذا ـ ايضا ـ ما يشهد به ـ واقعا تاريخيا ـ نموذج الرؤيا

المسيحية ونموذج الرؤيا المحمدية اللذان تستشف جوهرهما القصيدة.

واذا كانت الرؤيا العربية المعاصرة قد تجسدت شعرا انبعاثيا، فانه لا يمكن القول بانها تجسدت فكرا نافذا وفعلا حضاريا مبدعا .. وان الازمة ليست فقط في كارثة الارض البغي الهرمة التي خنقت الرؤيا ـ كما توحي القصيدة ـ بل هي ايضا في غياب جدلية الفكر ـ الفعل ، هذه الجدلية التي يتحتم ان تنوجد تواما لاية رؤيا حضارية .... والتي تستطيع وحدها ان تقلب الارض الهرمة رأسا على عقب لتزيل عنها تجاعيد الشيخوخة وتخرج من باطنها التربة الخصبة الطاهرة الجديدة التائقة لبذار الرؤيا الانبعاثية ....

على ضوء ذلك يبدو ان رؤيا الشاعر ، والرؤيا العربية المعاصرة بصفة عامة ، تقف اليوم امام اختيارين حضاريين متباينين وعلى درجة كبيرة من الاختلاف من حيث طبيعتهما ...

الاختيار الاول : ان تبقى هذه الرؤيا امام لا مبالاة الارض البغي الهرمة حلما افلاطونيا ويوتوبيا عصية على الفعل والتحقق والتجسد، تمد « الحزانى والجياع » بالامل ، ولا تفتح امامهم طريق العمل ...

اما الاختيار الثاني ـ وهو الحتمي ـ ففي ان تواصل مسيرتها التاريخية من حيث هي رؤيا هذه الامة التي استطاعت تاريخيا ان تجعل رؤى الانبياء فعلا حضاريا مسهما في صياغة المصير الانساني بالنضال والفعل ، فتستمر باحثة في صيرورة ملحة عن وجهها الفكري ـ العلمي اي عن جدليتها الحضارية ، حتى تصل الى مستوى الرؤيا ـ الفعل بعد ان تبلورت في صورة الرؤيا ـ الكلمة .... وهي الرؤيا التي بدات ـ منطلقا ـ منذ « البحار والدرويش » بالتطواف مع جوته في رحلة كشفه المضني الذي انتهى به الى ضرورة تحويل المقولة : « في البدء كان الكلمة » الى « في البدء كان الفعل » . (واذا كان شاعرنا قد استشعر اللاجدوى في معنى الفعل الذي لم ينتج سوى « طين محمئ » ... فان التغلب على حس اللاجدوى ومجاهدته عنصر حتمي في كل موقف صمود رواقي وجودي اصيل . وايا كان الامر فهل ثمة مجال للمقارنة والتفضيل بين « طين محمى » و « طين موات » و (الدرويش) و (ضباب وبروق ») .

* * *

وفي غمرة اليأس من الانبعاث وغلبة الشعور باختناق الرؤيا يتساءل الشاعر :

اترى هل كان ما عاينته يوما
سوى صبح غريب
شمسه تطلع من صوب المغيب

... في غمرة ذلك كله تتولد الرغبة ـ بعد موت رغاب العمر ـ في الانكفاء على الذات في برج عاجي تملأه الاوهام ويزينه التبرج كما فعل شعراء الابراج العاجية الغارقون في الجماليات النرجسية المخملية الهاربة من حموة الشمس وحرارة الواقع :

كان اجدى لو بنت
كفاك برجا متعالي
من حنايا صمته
يرفل وهج الطيب
في وهج اللآلي
وغلالات من الوهم المغالي
وشحتها حنوة الليل الطري
وصفاء مخملي قمري
يلتوي عنها جنون الشمس
ترتد ظنون الاعين المتهمه
كان احدى
لو تبرجت
وبرجت البغي الهرمه

الا ان هذه الرغبة يستحيل ان تتقبلها ذات شاعر كان الحس الجماعي والضمير القومي الانساني دافعه الابداعي الاكبر ... هل يمكن ان يستريح في البرج العاجي من قال : (نهر الرماد ٢٩٨)

يعبرون الجسر في الصبح خفافا
أضلعي امتدت لهم جسرا وطيد

والقائل :

ان لي أطفال اترابي
ولي في حبهم خمر وزاد

ومن قال : (الناي والريح ١٠٦)

ما كان لي ان احتفي
بالشمس لو لم اركم تغتسلون
الصبح في النيل وفي الاردن والفرات
من دمغة الخطيئة
وكل جسم ربوة تجوهرت في الشمس
ظل طيب ، بحيرة بريئة

والقائل : (الناي والريح ٩٧)

غريبة ومثلها غريب
حيث نزلنا ارتفعت
دار لنا ودار
خفّ الينا الف جار متعب وجار
في دوخة البحار
وغربة الديار

والحق اننا عندما نصل الى المقطع الاخير من قصيدة « ضباب وبروق » » نكتشف ان معاناة المبحر مع « البحار والدرويش » والمكتشف مع « السندباد » ما تزال حارة موجعة أبعد ما تكون عن هدوء الابراج العاجية المتبرجة باللآلي .. بل ان هذه « المعاناة » قد انعجنت مع الصيرورة الحضارية العربية الراهنة بكل ما فيها من يأس والم وتمزق وأمل وانتظار ...

ان « الشخصية » الدرامية في القصيدة تنحل الى ثلاثة عناصر متناقضة تناقض الحالة النفسية العربية اليوم :

في جبال من كوابيس التخلي والسهاد
حيث حطت بومة خرساء
تجتر السواد
الصدى ، والظل ، والدمع جماد
يتجلى فارس غض منيع
فارس يمسح غصات الحزانى والجياع
سيفه
يهزج في وهج الصراع
ويعرّي الفعل
من اسم وظرف وقناع
وتود البومة الخرساء
لو مات الجميع
لو توارى الفارس الغض المنيع
موجة يلهو بها ، يهدمها
موج الطباع
وأرى الفارس يهوي ويغيب
وأرى البومة تهوي وتغيب
بين شطين من الموج العباب

وارى عبر الغياب
شبحا يبخر في البحران
يفويه السراب
تلتقيه في ضباب التبغ
اشباح يغشيها الضباب .

وهكذا نرى ان التمزق الدرامي يتخذ طابع الصراع المثلث الجوانب بين الفارس والبومة والشبح : الفارس رمز الامل والبعث ، والبومة رمز الياس والعقم والهزيمة ، والشبح رمز حالة الضياع التي نعيشها اليوم ...

ونلاحظ ان البومة التي كانت في « الجسر » عنصرا نسبيا عابرا ضعيف الاثر تغدو هنا عنصرا أساسيا من عناصر الصراع يكاد يسيطر عليه ...

وان الفارس الذي كان بطل الانبعاث وسيد المشهد في « عودة الى سدوم » : (نهر الرماد ٩٢)

اترى يولد من حبي لاطفالي
وحبي للحياة
فارس يمتشق البرق على الغول
على التنين ، ماذا هل تعود المعجزات ؟
بدوي ضرب القيصر بالفرس
وطفل ناصري وحفاة
روّضوا الوحش بروما ، سحبوا
الانياب من فك الطغاة
رب ماذا
رب ماذا
هل تعود المعجزات

* * * *

ليحل الخصب ولتجر الينابيع
ويمض « الخضر » في اثر الغزاة
فارس يولد من حبي لاطفالي
وحبي للحياة
لتحل المعجزات .

ان هذا الفارس في « ضباب وبروق » يرتد ويصغر حجمه ليغدو مجرد عنصر من عناصر النفس المتمزقة (التي توحدت ـ بالامس ـ في عرسها القصير مع عودته الخضراء ...)

ولكن رغم ذلك كله يظل الفارس « بطل فعل » .... بل ان « الفعل يتقدم على كل ما عداه ويغدو في هذا التعبير الشعري الحي مطلوبا لذاته ، مجردا حتى عما يدل عليه من كلمات وما تحيطه من معان وحجب :

يتجلى فارس غض منيع
فارس يمسح غصات الحزانى والجياع
سيفه
يهزج في وهج الصراع
ويعرّي الفعل
من اسم وظرف وقناع

... وتلك هي الرؤيا ـ الفعل ، الوجه الموضوعي الحتمي لذاتية الرؤيا ـ الكلمة

فمتى ينهل كالصبح فارسها .. الفاعل .. المنتظر ؟

محمد جابر الانصاري
البحرين

صين ماو ...

أو الشيوعية الأخرى

تاليف ك.س. كارول ـ

ترجمة ذوقان قرقوط

« التجربة التي استطاعت ان تنقل اكثر من ستمئة مليون نسمة كانوا فريسة الفقر والعري والتشرد والسيول والمجاعات والاوبئة الى حياة انسانية تحس بالدفء والطمانينة ، وقد تحررت فيها الصين من حكم متفسخ عفن ووفرت لها حكومة مركزية تحكمها روح التطهر ونزعة لا مثيل لها الى المساواة ـ هذه التجربة تظل بلا شك مثار العجب وموضوعا للدراسة الى مدى طويل ، فضلا عن انها تقدم لنا ، نحن العرب ، ونحن نتلمس السبيل الى التغلب على دواعي التفكك لاعادة وحدتنا ، مثلا غنيا بما انجزته لتوحيد الشعب الصيني ...

« ومؤلف الكتاب ك.س. كارول كان هدفه من زيارته الاولى للصين ان يعقد مقارنة بين شيوعية الصين وشيوعية الاتحاد السوفياتي وبين النظرية والتطبيق وبين ستالين وماوتسي تونغ ، وقضى في ذلك اربعة شهور طاف فيها بالصين فقطع بين جوانبها خمسة وعشرين الف كيلو متر وشهد نشاة الحرس الاحمر والثورة الثقافية. وقضى في الزيارة الثانية التي قام بها منذ اشهر قليلة ستين يوما فتجول في مناطق لم يسمح لغيره بدخولها ، فزار المصانع والكومونات والمدارس والجامعات ، فتمكن من ان يجمع ملفا ضخما من تحولات المجتمع الصيني .. وان يجيب على تساؤلات كثيرة : هل ما يجري تطبيقه في الصين ماركسية ؟ ما هي الضوابط التي تحكم حركة الصين ؟ ما هي اهداف الثورة الثقافية ؟ ما هي اكثر الحوافز فعالية وابقاها واضمنها لعدم الانحراف ؟ ماذا في هذه التجربة من عناصر صينية وما فيها غير صيني الخ ...

والفصل الاخير يعالج موضوع الصين والعالم بعد دخولها الامم المتحدة ، الدخول الذي اصبح نقطة تحول هامة في التاريخ الحديث ، والذي جذب انظار العالم كله الى هذه الدولة العظيمة التي يهم القراء جميعا ان يطلعوا على كل جوانب حياتها المثيرة للفضول ...

صدر حديثا ـ ٦٠٠ ق.ل